وقال الجوهري : « ويقال للجلدة التى بين العين والانف سالم (136).»

قال الصاغانى : « وهذا غلط . وقد تبع خاله الفارابى فى اخذ اللغة عن معنى الشعر» (137)

ي ــ قال الفارابى : « غضبى مائة من الابل وهى معرفة لا تدخلها الالف واللام » (138)

وقال الجوهري : وغضبى مائة من الابل وهى معرفة لا تنون ولا تدخلها الالف واللام (139) .

وقال الفيروزابادي : « قول الجوهري تصحيف والصواب غضبا بالمثناة تحت » .

ك ــ قال الفارابى : المزْج : الشهد (140)

وقال الجوهري : المزج : العسل (141).

قال الفيروزابادي : وغلط الجوهري فى فتحه (142) .

ل ــ قال الفارابى فى كتاب المهموز :« افخته ضربت يافوخه » (143)

وقال الجوهري فى باب الخاء فصل الهمزة : « افخته ضربت يافوخه » (144)

قال الفيروز بادى : وغلط الجوهرى فى ذكره فى المهموز لان الاصل يفخ (145)

م ــ ذكر الفارابى « التامور » بمعنى الدم فى بناء « فاعول » من السالم (146).

اي انه اعتبر اصالة التاء وزيادة الالف .

وكذلك فعل الجوهري اذ وضعه فى مادة « تمر » .

قال الفيروزابادي : « وزنه تفعول فموضع ذكره امر لا كما توهم الجوهري (147).»

ن ــ قال الفارابى : « الصيمرية سمة فى عنق البعير (148) .»

وقال الجوهري « الصيمرية سمة فى عنق البعير » (149)

قال الفيروزابادي : هى سمة فى عنق الناقة لا البعير (150) .

س ــ قال الفارابى : الخيال ارض لبنى تغلب

وقال :

لمن طلل تضمنه اثال
فسرحة فالمرانة فالخيال (151)

وقال الجوهري : الخيال ارض لبنى تغلب ،

قال الشاعر :

لمن طلل تضمنه اثال
فسرحة فالمرانة فالخيال (152)

قال الفيروزابادي : واما اسم الموضع فبالشين والجيم (شرجة) .

وغلط الجوهري .. والخيال تصحيف وانما هو الحبال لحبال الرمل ... (153)

---

136) 22/6 . ويعنى بذلك قول الشاعر :

يديرونني عن سألم واريغه
وجلدة بين العين والانف سالم

137) سلم

138) و 102

139) غضب .

140) و 11

141) مادة مزج .

142) مادة مزج .

143) و 394 .

144) مادة افخ .

145) مادة افخ .

146) و 77 .

147) مادة امر .

148) و 19 .

149) مادة صمر .

150) مادة صمر .

151) و 326 .

152) مادة خيل .

153) مادة سرح .

ع — قال الفارابي : ويقال بهته اذا قال عليه ما لم يفعله . وقالوا في قول ابي النجم لابنته حين هداها لزوجها :

سبي الحماة وابهتي عليها
ثم اضربي بالود مرفقيها

أن على متحمة معناه وابهتيها لانه ليس من كلام العرب بهت عليه انما كلامهم بهته كما قلنا اولا (154).

وقال الجوهري : وتقول ايضا بهته بهْتا وبهَتا وبهتانا فهو بهات اي قال عليه ما لم يفعله فهو مبهوت . واما قول ابي النجم :

سبي الحماة وابهتي عليها .

فان « على » متحمة لا يقال بهت عليه وانما يقال بهته (155)

وقال السفيروزابادي : الصواب فاتهتي عليها (156) .

ومعنى هذا ان الفارابي والجوهري يشتركان في كثير من الاشياء ، بل اننا نجد احيانا ان اللفظ هو اللفظ والشرح هو الشرح .

ويتضح من هذا وجه الشبه الكبير في المادة اللغوية بين الصحاح وديوان الادب . فما معنى هذا ؟ وما تفسيره ؟

1 — اول ما يتبادر الى الذهن أن الجوهري : قد استعان بديوان الادب مباشرة في تاليف معجمه الصحاح ، وانه اخذ عنه كثيراً من مادته اللغوية، مما أدى الى هذا التشابه بل التماثل في بعض الأحيان.

وهذا الاحتمال وان كان مقبولا إلا أنه يسلمنا إلى مشكلة لا يمكن حلها إلا بتجريح الجوهري واتهامه بالسطو والسرقة . فما دام الجوهري قد استعان بديوان الادب في جمع مادته اللغوية ، فلماذا خلا الصحاح من اسم الفارابي ، ولم يرد ضمن هذا الحشد الحاشد من العلماء الذين أخذ عنهم الجوهري وذكرهم في صحاحه ؟

ان الفارابي من نقلة اللغة الثقات الذين لم يوجه اليهم الدارسون اي مطعن، وقد تقبل العلماء المتاخرون، معجمه « ديوان الادب » بالرضا والقبول ، واعتمدوا عليه مباشرة في تحصيل مادتهم اللغوية (157)

والجوهري في صحاحه ينقل عن اساتذته المباشرين — من طبقة الفارابي — كابي علي الفارسي ، وابي سعيد السيرافي ، وهو وإن كان لم ينقل عن الأول إلا بعض مسائل نحوية او تصريفية ، فهو قد نقل عن الثاني (159) بعض مسائل اللغة . فلماذا لم يذكر اسم خاله ؟

---

154) و 148

155) مادة بهت .

156) مادة : بهت .

157) من هؤلاء الذين صرحوا بالنقل عنه : الثعالبي في « فقه اللغة » والصاغاني في « العباب » وفي « التكملة » والسيوطي في كتابيه « المزهر » و« القول المجمل في الرد على المهمل » والفيومي في « المصباح المنير » وابن مالك في « اكمال الاعلام بتثليث الكلام » وابن الطيب الفاسي في « اضاءة الراموس » ، وغيرهم ... وغيرهم .

158) كاعتبار « صُدّاء » مُعْلاء من المضاعف ، وتحليل صحة الواو في « عواور » مع قربها من الطرف بان الياء المحذوفة للضرورة مرادة ، فهي في حكم ما في اللفظ . فلما بعدت في الحكم من الطرف لم تقلب همزة . وغير ذلك .

159) كقوله وعجين أنْبجان اي مدرك منتفخ - وهذا الحرف في بعض الكتب بالخاء المعجمة وسماعي بالجيم عن ابي سعيد وابي الغيث وغيرهما .

وقوله :

وكانت العرب تسمي يوم الاثنين « أهْون » في اسمائهم القديمة . انشدني ابو سعيد السيرافي ، قال انشدني ابن دريد لبعض شعراء الجاهلية :

أؤمل أن أعيش وان يومي — باوْل او باهون او جُبَار
أم التالي دُبار أم فيومي — بمؤنسٍ او عَروبة او شِيَار

وقوله :

وقد ائتسي العظم اذا برئ من كسر كان به. هكذا اقرانيه ابو سعيد في المصنف .

لا تعليل لذلك على هذا الفرض الا سوء نية الجوهري ومحاولة تضليله للباحثين وتنصله من التبعية لخاله وتعميته على آثارها . وما اشبه صنيع الجوهري مع خاله الفارابي حينئذ بما يفعله بعض الباحثين الآن حين يقع على كتاب مهم في موضوعه — سواء في لغته او في لغة اخرى — فيقترف من معينه وينهل من مورده ثم يغفل ذكر اسمه في المراجع — مع حرصه على ذكر التافه منها — حتى لا ينكشف أمـــره ، أو يفتضح سره ؟

2- اما الفرض الثاني فهو ان الجوهري لم يأخذ عن ديوان الادب مباشرة ، وانما اخذ عن اصولـه ومراجعه الاولى . فهو قد تلقى اللغة عن الفارابي ، وجلس منه مجلس التلميذ ، ومن الطبيعـي أن يكـون بجانبه وهو يؤلف ويكتب ، ومن الطبيعـي ايضا ان يطلع على مراجعه وأصوله ، ومن الطبيعي كذلـك ان يعينه في بحثه ويساعده في لم مادته وجمع شـاردهـا وردها الى اصولها . اي ان الجوهري كان حاضـرا اوقات جمع الكتاب واخراجه ، وكان كل شيء يتـم تحت سمعه وبصره ، وعلى بينة منه . وهو بعد ذلك قد كتب نسخة من « ديوان الادب » بخطه وقراها على مؤلفها ، وتدارسها معه ، وناقشه فيها فحينما يشرع الجوهري في تاليف معجم لنفسه لا يعجزه أن يجمـع المراجع التـي أخذ عنها خاله ، ولا تعوزه الأصول، وقد رأى كثيرا منها بين يديه ، وقلب فيها وقرأ بعضها على اساتذته .

ولكن هذا لا يخلي الجوهري من الظنة ولا يدفع عنه التهمة ، فقد كان عليه — سواء أخذ مادته مـن ديوان الادب مباشرة أو بالواسطة — أن يذكر خالـه واستاذه الفارابـي ، فهو قد أخذ عنه نظام الباب والفصل كما سبق أن بينا ، ولا شك — بعد ذلك — في ان استفادته منه لا تقل عن استفادته من ابي علـي الفارسـي وابي سعيد السيرافـي ، ولا شك ايضـا أن ملازمته له تفوق ملازمته لهذين الاستاذين ، بل لا شك أن الفارابي هو صاحب الـفـضـل الاول علـى الجوهري وانه هو الذي علمه ولقنه علوم اللغة وخلف له من بعده اثرا لغويا ضخما هو « ديوان الادب » ، فمن اولى منه بالذكر ؟ ومن احق غيره بالتخليد ؟

ونحن ، بعد هذا ، لا نوافق كرنكو في قوله : انه ليس في الصحاح للجوهري شيء الا نجده في ديوان الادب ، فالصحاح — حتـى على اسوأ الفرضيـن بالنسبة للجوهري — اوسع مادة واكثر كما من « ديوان الادب » ، وهو يحتوي على زيادات كثيرة لا نجدهـا في ديوان الادب كما اثبتنا من قبل . واظنه لو عكـس القضية وقال : « ليس في ديوان الادب شيء الا نجده في الصحاح » لكان اقرب الى الصواب وأدنـى الى الحقيقة ، وان كان هذا الحكم كذلك ليس على عمومه ولا يصدق على اطلاقه ، فهناك اشياء في ديوان الادب ليست في الصحاح كما نبهنا سابقا .

والخلاصة أن الصحاح متاثر بديوان الادب في نظامه وفي مادته اللغوية ، وانه استفاد منه كثيرا — مباشرة او بالواسطة — وان اشتمل على زيادات كثيرة ليست فيه .

وقد احس بهذه الاستفادة الصاغانـي من قبل فنبه في اكثر من موضع من كتابه « التكملة » علـى ذلك . كما ادركها الفيومي فاشار اليها اكثر من مـرة في معجمه « المصباح المنير » (160)

(يتبـع)

---

160) انظر مثلا مادة سدد ، وشوش .

الوقف على المختوم بالتاء وطبيعة ذلك الوقف

الدكتور أحمد كشك
مدرس بدار العلوم - القاهرة

من قضايا اللغة :

درج اللغويون فى حديثهم عن الوقف على المختوم بالتاء أن يقولوا بأن الوقف له علامة خاصة هي تحويل هذه التاء الى هاء تسمى هاء التأنيث . فما نصيب هذا القول من الصحة ؟

قبل ان نصدر رأياً فى هذه المسألة نعرض بعض حديث لدارسي العربية حتى يتسنى لنا بعد ذلك ان نبرز رأينا فى صورة واضحة وحتى يعلم اننا لم نهمل فكرهم تماما ولم نحور آراءهم تعسفا الى فكرة نحاول اثباتها . فما هى نظرة اللغويين الى هذه التاء عند الوقف ؟ بعبارة اخرى ما هى طبيعة الوقف على المختوم بالتاء عندهم ؟

يقول سيبويه فى ذلك : « فعلامة التأنيث اذا وصلت التاء واذا وقفت الحقت الهاء وأرادوا ان يفرقوا بين هذه التاء والتاء التى هى من نفس الحرف نحو تاء سبنتة وتاء عفريت وكذلك التاء فى بنتٌ .. وتاء الجميع اقرب الى التاء التى هى بمنزلة ما هو نفس الحرف من تاء طلحة لان تاء طلحة كأنها منفصلة وزعم ابو الخطاب ان ناسا من العرب يقولون فى الوقف طلحتْ كما قالوا فى تاء الجميع قولا واحدا فى الوقف والوصل » (1) ويقول ابن يعيش : « متى كان آخر الاسم تاء التأنيث من نحو طلحة وحمزة وقائمة وقاعدة كان الوقف عليه بالهاء .. وذلك فى الرفع والنصب والجر والذي يدل ان الهاء بدل من التاء انها تعتبر تاء فى الوصل،والوصل مما ترجع فيه الاشياء الى اصولها والوقف من مواضع التغيير ... على أن من العرب من يجري الوقف مجرى الوصل ، فيقول فى الوقف هذا طلحت وهى لغة فاشية حكاها ابو الخطاب » (2) .

---

1) الكتاب ج 2 ص 281 . وللمبرد نص قريب من ذلك فى المقتضب ج 1 ص 63 .
2) شرح المفصل ج 9 ص 81 . ولابن جني نص قريب من ذلك فى سر صناعة الاعراب ج 1 ص 176.

يوضح هذان النصان عدة أمور ، منها : ان الوقف على تاء التانيث بالهاء خاص بالاسم المفرد والصفة ، ويبدو ذلك من الامثلة التى وردت فى النصين . ومنها ان الوقف شامل لجميع الحالات الاعرابية . ومنها : أن بعض العرب يقف بالتاء دون تحويلها الى هاء مسميا ذلك اجراء للوقف مجرى الوصل .

والاشموني يقول بمثل ذلك . ويضيف الصبان فى حاشيته تعليلا يبرر به التزام التاء فى الفعل والحرف وعدم تحويلها الى هاء وهو خشية الالتباس حين تحول ضربتْ الى ضربه وربّتْ الى ربه فتختلط هذه الهاء حينئذبهاء الغير (3) . ويضيف الصبان احترازا آخر خاصا بالاسم وهو الا يكون الوقف بالهاء موقعًا فى لبس ترفضه اللغة .

ويرى الاشمونى فى الوقف على جمع المؤنث السالم وما ضاهاه-يريد بذلك هيهات وأولات — ان من الافضل الوقف بالتاء وإن سمع ابدالها هاء فى قول بعضهم « دفن البناهْ من المكرماهْ ...وكيف بالاخوهْ والاخواهْ وسمع هيهاهْ وأولاهْ . لكنه يعلق على ذلك بانه من لغة طىء وقد وسمه صاحب الافصاح بانه شاذ لا يقاس عليه (4) .

ويرى صاحب النشر ان الاسم المؤنث بالتاء يوقف عليه بالهاء ويرى ان هذه الهاء بدل من تاء التانيث . وان الوقف عليها يكون بالسكون . ولا يجوز فيه روم ولا اشمام . وفى امالة هذه الهاء المبدلة يقول ان بعض العرب امالها كما أمال الالف فقد قيل للكسائي إنك تميل ما قبل هاء التانيث فقال هذا طباع العربية (5) .

تلك احاديث للغويي العربية وعلماء القراءات نستطيع ان نخرج منها بالافكار التالية :

— ان الوقف على المختوم بالتاء يكون بالهاء اذا كان اسما مفردا او جمع تكسير رفعا ونصبا وجرا .

— أن هناك شرطا لذلك هو الا تكون التاء مسبوقة بساكن مثل بنْت وأخْت .

— ان عدم اطلاق الابدال على الفعل والحرف مرجعه أمن اللبس .

— ان هذا اللبس يجب ان يعمم ؛ لان امكان وجوده محتمل فى الصورة الاساسية « ضاربه » .

— ان الوقف بالهاء يكون بالاسكان ولا روم ولا اشمام .

— ان جمع تصحيح المؤنث وما شابهه يمكن ان يوقف عليه بالهاء وذلك قليل خاص ببعض العرب .

— ان الاسم المفرد المختوم بالتاء يمكن ان يوقف عليه بالتاء على قلة وذلك مثل : هذا طلحتْ على لغة . وهذا لا ينفى عربيتها فابن جني يقول :

« وقال ليس عندنا عربيت من دخل ظفار حمّر اي تكلم بكلام حمير فاذا كان كذلك جاز جوازا قريبا كثيرا ان يدخل من هذه اللغة فى لغتنا وان لم يكن لها فصاحتنا غير انها لغة عربية قديمة (6) .

يتبين من ذلك ان الوقف على الاسم المختوم بالتاء كما يرى دارسو العربية يكون بالهاء وهذه الهاء تنعت عندهم بهاء التانيث وانها مبدلة عن تاء التانيث حين الوقف . فهل تصور ابدالها من تاء التانيث يتفق والصواب ؟ لدي احساس بان هذه الهاء ليست الا هاء سكت جيء بها لاغلاق المقطع فى حالة الوقف وفى اقوال بعض اللغويين حولها ما يعطى ايحاء بذلك وان لم يكن نصا فى التعبير . يقول الصبان فى حاشيته حول المراد بهاء التانيث ان تسميتها هاء مجاز باعتبار حالة الوقف التى هى فيه ساكنة (7) . وفى قوله مجاز دليل على ان التسمية

---

3) حاشية الصبان على شرح الاشمونى ج 4ص 213 . واللبس المحتمل فى ضاربه ينفيه اعتبار السياق .
4) السابق ج 4 ص 213 — 214 .
5) النشر فى القراءات العشر ج 2 ص 79.
6) الخصائص ج 2 ص 28 .
7) حاشية الصبان ج 4 ص 209—210

بهاء التانيث من قبيل التجوز . ولعل ما دفعهم الى ذلك حيرتهم أمام الموجود فقد كانت هناك تاء حالة لوصل فاذا بها هاء فى الوقف ، ولاتهم أرادوا خلق صلة ما بين الحالتين الوصل والوقف سموها هاء التانيث وقالوا بابدالها : لكننا ندرك ان القول بمجازية الهاء يوحى بان الصلة واهية بين هذه الهاء والتانيث الذي ذهب به مطلب الوقف . وابن الجزري يقول : « اختلفوا فى هاء التانيث هل هى مالة مع ما قبلها او ان المال هو ما قبلها وانها نفسها ليست مالة.. ويقول : هاء السكت نحو كتابيهْ وحسابيهْ وما اليه لا تدخلها الإمالة لان من ضرورة إمالتها كسر ما قبلها وهى انما أتى بها بيانا للفتحة قبلها فنى إمالتها مخالفة للحكمة التى من أجلها اجتلبت . وقد يفهم من قوله أن هناك فرقا بين الهاءين من جهة الإمالة وعدمها وهذا لا يناقض قولنا اذ الهاء واحدة ولا يرجع الاختلاف الى الهاء نفسها ، ولكن الى الحرف الذي قبلها ، ذلك انهم اختلفوا فى هائنا هل هى مالة مع ما قبلها أو ليست مالة والمال هو ما قبلها . فشرط الامالة ليس دليلا على اختلافهما . والذي يجعلنا نرى انهما شىء واحد ان الروم والإشمام لا يدخلانهما اذ لو أن الهاء كانت بدلا من التاء كما راى اللغويون لكانت حرفا صحيحا يمكن له أن يشم ويرام فاذا لم يحدث له ذلك فافتراض انها بدل من تاء التانيث يصعب علينا قبوله . يضاف الى ذلك ان إبدال التاء هاء مباشرة ولأسباب صوتية محضة أمر صعب وحديثُ كانتينو عن بروكلمان يؤكد ما نراه اذ يقول : « ان التغيير الطارىء على التاء، والذي يسترعي الانتباه اكثر من غيره هو انقلاب علامة التانيث فى الاسماء والصفات اي (ة الى هْ) عند الوقف ولما كان ابدال التاء هاء مباشرة ولأسباب صوتية محضة من الظواهر المستبعدة نوعا ما ، فقد اقترح بروكلمان فى المختصر ج1 ص 48 تفسير هذا الحديث بالصورة التالية :

ان تسقط التاء عند الوقف فى مرحلة أولى نحو: ناتــة : ناقْ . ثــم أن تظهر بعد الحركة النهائيــة هاء ثانوية شبيهة بهاء السكت ... نحــو : نــاق : ناتهْ (9) . ويعلق كانتينو على ذلك بقوله وهو تفسير تحتمل صحته . فبروكلمان يكاد يقرر ما قلناه عن الهاء من امكان اعتبارها من قبيل السكت وقد أوضح لنا ذلك من خلال رؤيته السابقة . وربما سوغ ما نراه ايضا من الوقف على التاءات الاخرى لدى البعض فى تابوتْ ــ تابوهْ ، البناتْ ــ البناهْ ، ربت ــ ربهْ ، ثمت ثمهْ ، لات ــ لاهْ ، هيهات ــ هيهاه . كيف نسمى هذه الهاءات ؟ امن الممكن اعتبارها هاءات تانيث بالمفهوم الذي نراه فى فاطمة وحمزة!

ان الراي الذي اكاد أحسه ان الوقف على التاء انما يكون بعد اسقاطها باستراحة تتمثل فى وجــود هاء ساكنة تشبه هاء السكت . وقد يدفع قولنا ان هذه الهاء ترجع تاء فى الوصل وان الوصل مما ترد فيه الاشياء الى أصولها . وردنا على ذلك ان كــل الاشياء مع الوقف ترجع لأصولها حين الوصل . فهل نعتبر كل ظاهرة فى كل وقف بديلا من الوصل ؟

اننا نرفض فكرة البدل لان الوقف حالة تختلف طبيعتها عن حالة الوصل حيث لا تقارب بينهما واما مسالة الوقف بالتاء الساكنة لدى البعض فيما يسمى باجراء الوقف مجرى الوصل فلا نقرها ، لان التــاء هنا ليست كالتاء هناك فالوصل علامته التحريــك والوقف علامته الصمت او السكت ونحن لا نجد فى قولنا طلحتْ فى الوقف الا صمتاً او سكوناً لا يتفــق وطبيعة الوصل. فالوقف ما جاء الا عن طريق تــاء ليست بتانيث بل لغلق مقطع عند الوقف ومن هنا نرى ان الهاء او التاء التى لحقت الاسماء عند الوقف لا وشيجة بينها وبين ما يسمى بتاء الــتــانيث، حيــث اعتبارها هاء تانيث او تاء تانيث أمر يجانب الصواب.

---

8) النشر فى القراءات العشر ج 2 ص 85 .
9) دروس فى علم اصوات العربية . جان كانتينو ص 52 .

الحروف العربية والحواس الست (1)

للأستاذ محمد عباس
دمشق

اللغة ، كاداة للتواصل بين البشر ، هي كالاصوات الهيجانية والحركات البدنية ، وما اليها من وسائل التواصل والاعلام فى دنيا الانسان والحيوان على حد سواء .

ولكن لماذا انصرف الانسان عن وسائل الاعلام البديلة هذه الى اللغة ، وبينهما فروق نوعية جبارة استحال معها على الحيوان أن يجتازها الى اللغة ؟

كان الفلاسفة وعلماء اللغة والنفس يعزون ذلك الى ملكة العقل فى الانسان . ولكن يبدو ان علماء البيولوجيا قد جاؤوا بتعليل جديد آخر .

فلقد اكتشف علماء اللغة البيولوجيون مؤخرا، لغة حياتية مسجلة على شريط كيميائى فى جزيء الحمض النووي من الخلية البذرية المولدة ، اطلقوا عليها اسم مدونة (ADN) . وبفك رموز هذه المدونة وجدوا انها مؤلفة من اربعة أحرف ، دعوها بالابجدية الوراثية ، ورمزوا اليها بأحرف (ت. س. غ. T) . ويشمل معجم هذه المدونة (64) كلمة ، قد تمايز بعضها عن البعض ، كل كلمة منها تشكل متوالية من ثلاثة أحرف على الشريط الكيميائى ، الآنف الذكر (2) .

واذن يمكن أن نستنتج من هذا الاكتشاف اللغوي البيولوجى الحديث ، ان الانسان لم يبدع اللغة استجابة عقلية للضغوط البيئية المشتركة بين الانسان والحيوان فحسب ، وانما استجابة لتركيبه البيولوجى

---

1) مدخل الى دراسة بعنوان « الحروف العربية والحواس الست » معدة للطبع .
2) كتاب الاتجاهات الرئيسية لبحث العلوم الاجتماعية والانسانية . اليونسكو ، المجلد الثانى ، ترجمة وزارة التعليم العالى السورية ص 306—313

ايضا، وقد جهز بشريط لغوي مسجل في خليته البذرية المولدة (فسبحان الذي علم الانسان ما لم يعلم) .

وهكذا فاللغة بحسب هذا الاكتشاف تنتمي الى الخصائص البيولوجية في الانسان ، قبل ان تنتمي الى الملكة العقلية فيه.وان لغة الانسان الفجر هي من نتاجه الفطري الالصق بالغريزة وليست قطعا مجرد مصطلحات عقلية تواضع الناس على معانيها .

كما يدعم هذا الاكتشاف صحة من ذهب الى القول بأن اصوات الحروف ، هي اصل اللغة ، وان اللغة ذات الافعال والمصادر الثلاثية الاحرف ، كاللغة العربية ، هي أقرب الى فطرة الانسان الموروثة من سواها .

اسوق هذه النبذة من مدونة (ADN) و

ابجديتها الوراثية ، لا كحقيقة علمية نهائية ، لتعليل نشأة اللغة ، ففي كل يوم حدث علمي جديد ، وانما للوصول الى ان الربط بين اصوات الحروف العربية والحواس الست ، ليس امرا مزاجيا ، اذ يمكن ان يرقى هذا الربط الى مرتبة العلمي ، اذا ايدته التجربة.

وهكذا تعرضت في هذه الدراسة بحكم الصلة الجديدة المفترضة بين الحروف العربية والحواس الست ، الى قضايا خاصة تتصل بعلوم النفس والاجتماع والتاريخ والآثار والفيزيولوجيا والاصوات، لم يسبق ان تعرض لها باحث في اللغة العربية على ما أعلم .

فمجرد القول بوجود حاسة سادسة ، ومن ثم السعي للكشف عن العلاقة الكائنة بين اصوات الحروف العربية وبين الحواس الست ، مما لم يثره دارس في اللغة العربية حتى الآن ، لا بد له من نهج جديد في البحث والتقصي ، ولا بد لهذا النهج اذا كان صحيحا أن يطرح قضايا غير مطروقة ، ليصل الى نتائج غير مسموعة .

ومع ذلك لا يحسبن القارىء أن موضوع هذه الدراسة مبتكر لم يسبقني اليه أحد . فلقد تناوله كثير من علماء اللغة العربية وفلاسفتها وفقهائها وأدبائها طوال الف عام ونيف .

فالموضوع الاساسي لهذه الدراسة هو فطرية اللغة العربية .

وهذه الفطرية التي ظلت من مسلمات المدرسة اللغوية القديمة ، طوال الف عام ، قد رفضها اخيرا أصحاب مدرسة لغوية محدثة من خريجي الجامعات الغربية ، وقالوا برمزية اللغة واصطلاحيتها غربية كانت اللغة او عربية . لقد اخذوا بآراء علماء اللغة الغربيين الذين اجمعوا على ان اللغة « هي التعبير الرمزي بالذات وان كان لها الاولوية على كافة انماط الرمزية التواصلية » (3) .

ولقد شهد القرن الحالي صراعا مرًّا بين المدرستين ، كانت الغلبة العددية فيه لاصحاب المدرسة الحديثة ، بحكم القابهم العلمية الرفيعة ، ومراكزهم الجامعية المرموقة ، وسلطانهم الرسمي على عقول أجيال من ادبائنا ولغوييننا من خريجي الكليات الادبية التي يشرفون عليها ، لا فرق بين من قال منهم بعبقرية اللغة العربية ، وبين من انكرها.

---

3) المرجع السابق ص 281

وهكذا تضافر على دعوى فطرية اللغة العربية عوامل كثيرة ، من ابرزها :

أ ــ اجماع علماء اللغة الغربيين على رمزية اللغة ، ليصبح القول بفطرية اللغة العربية في نظرهم ونظر تلاميذهم ، ضربا من التخلف الفكري او التقوقع التعصبي ، دون أن ينتبهوا الى ما بين لغتنا واللغات الغربية من فوارق في الاصل والنشأة والبنية .

ب ــ اعتماد أصحاب المدرسة القديمة من القدامى والمحدثين على الحس الشاعري المرهف في المثقف العربي : اذن موسيقية مدربة على الشعر ، تدرك الفروق الدقيقة بين تلونات الاصوات ، ومعاناة ادبية طويلة ، يدرك معها الفروق الدقيقة بين تلونات معاني الالفاظ . وهكذا لم يتبع اصحاب هذه المدرسة في ذلك نهجا علميا تجريبيا ، ولم يستعينوا بمختلف العلوم الانسانية والطبيعية الحديثة . فكانت ادلتهم اللغوية تعتمد تارة على النصوص (كالعلايلي) وتارة على ملكة التذوق الفني (كابن جني) ، وتارة على صدى صوت اللفظة في النفس (كالارسوزي) .

ج ــ انصراف معظم ادبائنا ولغوبينا المحدثين عن الشعر العمودي قولا وحفظا ورواية ، مما اخذ معه الحس الشاعري المرهف ينضب في نفوسهم جيلا بعد جيل ، لتضمر بذلك الملكة الفنية التي كانت تأخذ بأسلافهم الى فطرية اللغة العربية عفو السليقة الشعرية والنشأة الادبية .

ولكن هل يستحيل علينا ان نجعل الانسان العربي المعاصر يدرك فطرية اللغة العربية ؟

اذا كانت فطرية اللغة العربية حقيقة انسانية ، فلا بد لها أن تطرح مجموعة من القضايا الانسانية والمادية ، التي يمكن اخضاعها للخبرات العلمية ، مما يحتم على العقل قبول نتائجها ، عربيا كان ، او غير عربي .

فما هي القضايا التي تطرحها فطرية اللغة العربية ؟

هذه الفطرية تعني مبدئيا ، ان اللغة العربية مقتبسة مباشرة عن الطبيعة ، ماديها وانسانيها ، وان اثر الطبيعة لا يزال عالقا في جذور حروفها مبنى ومعنى الى يومنا هذا .

واذن،فانها تفترض ان الانسان العربي الذي أبدع هذه الحروف لم ينحدر عن شعب آخر ، وان حروفه لم يقتبسها عن لغة اخرى .

كما ان هذه الفطرية تقتضي أن يكون الحرف العربي كظاهرة ثقافية ، قد تفاعل مع مقومات الشخصية العربية وقيمها وتقاليدها ، وان يكون الانسان العربي بالمقابل قد تفاعل مع المعطيات الثقافية للحرف العربي ، ومع خصائصه الصوتية ايضا .

ولقد استهدفت من هذه الدراسة اقامة الادلة على صحة هذه المقولة ومقتضياتها .

ولكن ما هو موقف المدرستين اللغويتين الآنفتي الذكر من هذه النتائج المستخلصة مباشرة من مقولة فطرية اللغة العربية ؟

بيني وبين اصحاب المدرسة اللغوية الحديثة :

لما كانت هذه المدرسة ترفض اصلا فطرية اللغة العربية ، فمن البدهي ان ترفض أيضا نتائجها.

فلا الحرف العربي بكر ، ولا الانسان العربي فجر ، وليس ثمة اي تفاعل بين الحرف العربي والانسان العربي ، ولا العكس بالعكس صحيح ، الى آخر

ما هنالك من ضروب الرفض والانكار ، حتى ليظن القارىء وكأنه لا لقاء بيني وبين اصحاب هذه المدرسة في شيء .

وعلى الرغم من افتراقي واياهم في بداية الشوط ، واختلافي واياهم في نهايته ، فما اطول ما تعقبت خطاهم بين هاتين النقطتين ، وما اكثر ما لجأت الى العلوم التي استخدموها في ابحاثهم اللغوية، (وان غَنَّى كل منا على ليلاه) .

ولئن كنت استعنت بنبذ من علوم التاريخ والآثار والاجتماع والفيزيولوجيا والاصوات والفن والاخلاق، بمعرض اقامة الادلة والبراهين على صحة هذه المقولة، فان هذه الدراسة تنتمي اكثر ما يكون الانتماء الى علم اللغة النفسي .

فاللغة العربية بخصائصها ومزاياها الفطرية ، لا يمكن ان تنكشف للذهن العربي ، ما لم يستخدم العلوم اللغوية الحديثة في دراستها وتحليلها ، ولكن تحت رقابة حس شاعري مرهف ، وذوق ادبي رفيع.

فاللغة العربية كظاهرة فطرية من مظاهر الحياة الانسانية ، لا تخشى العلم الحديث قطعا ، وبقدر ما نستخدم من الوسائل العلمية الحديثة في استجلاء كنهها ، تتاح لنا الفرص للكشف عن المزيد من قيمها الجمالية ومضامينها الثقافية، لا بل وللكشف ايضا عن المزيد من خصائص الحياة الانسانية وقيمها، كرفيقتي عمر منذ فجرهما الحضاري الاول .

فني اللغة العربية من الاصالة العلمية ، ما في اي بادرة اصيلة من بوادر الحياة .

بيني وبين اصحاب المدرسة اللغوية القديمة :

اني واحد من تلاميذ هذه المدرسة ومريديها. قد ترعرعت في ربوعها ، انهل من ينابيعها ، واقطف من ثمارها ، واتقيأ ظلالها . فكانت جنتي اللغوية الفجر ، وما كان اسعدني بها ، حتى ظننت انه لن يكون يوما ما اي فراق بيني وبين اقطابها .

ولكن ، على الرغم من انطلاقي واياهم في البحث والتقصي من نقطة الابتداء ، هي بداية الحرف العربي ، ووصولنا سوية الى نقطة الانتهاء ، هي فطرية اللغة العربية ، فاني لم ألتق واياهم في هذه المسيرة اللغوية الطويلة بين هاتين النقطتين ، الا في صدف من تقاطع الطرق ، لنتفق حينا ونختلف احيانا كثيرة .

فلقد اعتمد اصحاب هذه المدرسة في ابحاثهم وتقصياتهم بصورة عامة على سليقة ادبية متمكنة ، وحس مرهف الشعور . ولربما تجاوزوا في تقصياتهم احيانا ، النطاق اللغوي التقليدي ، الى نطاق علوم النفس والحركة والاصوات ، والاجتماع وغيرها ، ولكن دون ان ترقى مثل تلك اللمع الذكية الى مرتبة البحوث العلمية الحديثة . فلا نهج علمي تجريبي واضح ، ولا استثمار جدي لمكتشفاتهم اللغوية في ميادين النفس والاجتماع والتاريخ والاصوات وما اليها .

ولقد عقدت فصلا خاصا في هذه الدراسة بعنوان (علماء اللغة العربية وايحاآت الحروف) استعرضت فيه آراء لفيف من كبار اصحاب المدرستين اللغويتين ، حول خاصية الايحاء في الحروف العربية ، المرتبطة مباشرة بفطرية اللغة العربية .

أما انا ، فقد نهجت في التدليل على فطرية اللغة العربية نهجا مغايرا .

فما هو منهجي في هذه الدراسة ؟

لقد اعتمدت طريقة الخطأ المفترض في البرهان الرياضي للتحقق من صحة مقولة فطرية اللغة العربية . أفترض ، وأتساءل عن صحة الافتراض، وأجيب . ثم أتساءل عن صحة الاجابة . وهكذا ، الى أن تتطابق الاجابة الاخيرة مع حقيقة الواقع . فتنسحب هذه الحقيقة الاخيرة ، بحكم المنطق الرياضي ، على جميع الافتراضات السابقة وأجوبتها .

الافتراض الاول :

اذا صح ان اللغة العربية فطرية النشأة ، فان ذلك يفترض بداءة الحرف العربي وفجرية الانسان العربي على حد سواء .

(بداءة الحرف العربي مرتبطة مباشرة بفجرية اللغة العربية ولا فراق . وفجرية الانسان العربي مستخلصة من هذه الصلة الراهنة بين معاني الحروف العربية وبين الطبيعة . اذ لو ان الانسان العربي اقتبس حروفه عن غيره ، لانقطعت هذه الصلة بينها وبين الطبيعة ، مثلما انقطعت في الحروف الغربية المقتبسة اصلا عن الابجدية الفينيقية) .

وللاجابة على هذه الفرضية ، عقدت فصلا خاصا في مستهل هذه الدراسة بعنوان : « حول بداءة الحرف العربي والانسان العربي » .

ولقد تبين لي من هذه الدراسة ، ان انسان الجزيرة العربية ظل مقيما فيها لم يبرحها قطعا ، ولم يغزه في عقر داره شعب آخر على الاطلاق ، منذ بداية العصر الجليدي الرابع حوالى الالف الستين قبل الميلاد حتى الالف العاشر او الثامن قبل الميلاد ، بعد ان أبدع جميع حروفه .

كما تبين لي ان الانسان في الجزيرة العربية قد مر بمراحل حياتية ثلاث :

1 ــ مرحلة الصيد : وقد استمرت منذ فجر الانسانية حتى الالف الثالث عشر قبل الميلاد. وكان الرجل القوي في هذه المرحلة هو سيد الاسرة بلا منازع .

2 ــ مرحلة الزراعة : وقد بدأت أول ما بدأت على وجه الارض في الجزيرة العربية على يد المرأة ، حوالي الالف الثاني عشر قبل الميلاد . فكانت المرأة في الجزيرة العربية أول فلاح في التاريخ لتكون بذلك أول معلم في دنيا الحضارات . وفي هذه المرحلة انتزعت المرأة الذكية زعامة الاسرة من الرجل القوي .

3 ــ مرحلة الرعي : وقد نشأت في الجزيرة العربية أول ما نشأت على وجه الارض ، حوالي الالف العاشر قبل الميلاد . وفي هذه المرحلة استعاد الرجل الشجاع المحارب سيادته على الاسرة ، ولا يزال محتفظا بها الى حد ما ، حتى اليوم .

كما تبين لي ان انسان الجزيرة العربية قد أبدع حروفه عبر هذه المراحل الحياتية الثلاث ، فكان منها الغابي والزراعي والرعوي . وقد أبدع الرجل استجابة للمقتضيات المهنية في مرحلتي الصيد والرعي بعض الحروف ، كما أبدعت المرأة استجابة لمقتضيات مهنتها في المرحلة الزراعية بعض الحروف ايضا .

وهكذا فان الموجات البشرية التي خرجت من الجزيرة العربية بين الالف العاشر والثامن قبل الميلاد الى وادي الفرات ووادي النيل ، تحت ضغط الجفاف المتزايد ألف عام بعد ألف ، كانت تحمل بذور حضارة راقية ، من حروف عربية ، ورموز كتابية ، وأدوات مدنية ، ومعتقدات سماوية وتنظيمات قبلية كانت

اساس أنظمة الحكم فى المنطقة العربية حتى العصر الحديث .

الافتراض الثانى :

اذا صح أن الحروف العربية بديئة ، فالمفترض ان يكون الانسان العربى قد استخدم أصواتها للتعبير عن مختلف أحاسيسه الحسية ومشاعره الانسانية .

وفى الحقيقة ، عندما لمس الانسان العربى الفجر الاشياء من حوله ، لابد أنه قد عبر عن الاحساس بالخشونة او النعومة او الحرارة او الصلابة ، وما اليها من الملامس ، بأصوات معينة مرفقة بحركات جسدية ملائمة ، وذلك بمعرض التواصل والاعلام مع أبناء مجتمعه. واذن يمكن ان نطلق على مثل هذه الاصوات اسم الاصوات اللمسية . ولا بد ان هذه الاصوات والحركات قد تطورت وتهذبت مع تطور الانسان العربى ، عقليا ونفسيا ، واجتماعيا ومهنيا ، لتسقط الحركات الجسدية وتختصر الاصوات الكثيرة أخيرا فى أصوات حروف لمسية معينة .

ثم عندما تذوق هذا الانسان الاشياء وشمها ، ونظر اليها وسمع أصواتها ، وعندما عانى بعض الانفعالات الشعورية ، فلا بد أن يكون قد عبر عن كل ذلك بأصوات خاصة مرفقة بحركات ملائمة ، على مثال ما فعل باللموسات . لتسقط الحركات ، وتتهذب الاصوات ، فتختصر فى حروف ذوقية وشمية وبصرية وسمعية وشعورية .

الافتراض الثالث :

اذا صح أن الانسان العربى قد عبر عن احاسيسه ومشاعره بأصوات الحروف العربية الفجرية فالمفترض ان توحى الاصوات بمختلف الاحاسيس والمشاعر الانسانية . فأصوات الحروف ، قبل ان تنتمى الى القطاع اللغوي ، تنتمى أصلا الى القطاع الصوتي .

ولقد اقتضتني الاجابة على هذا الافتراض ، القيام بدراسة مبتكرة على الحواس الخمس للكشف عن العلاقات المتبادلة بين الاصوات والحواس ، وقد خلصت من هذه الدراسة الى تصنيف الحواس فى هرمين حسيين اثنين :

ا ـ فالحواس الخمس من حيث ماديتها يمكن تصنيفها فى هرم حسي سوي .

يبدا هذا الهرم بحاسة اللمس ، أشد الحواس مادية ، كقاعدة له . ثم تأتي حاسة الذوق الأقل مادية ، فى الطبقة الثانية . ومن ثم تأتي حاسة الشم، فحاسة النظر ، لتحتل حاسة السمع أقل الحواس مادية وأكثرها تجريدا ، قمة الهرم .

ب ـ أما الحواس الخمس من حيث قدرتها على استيحاء الاحاسيس (اي التاثر بها وادراكها)، فيمكن تصنيفها فى هرم حسي منكوس ، ذروته فى الاسفل ، وقاعدته فى الاعلى .

يبدا هذا الهرم بحاسة اللمس المغلقة على نفسها فى الذروة المنكوسة ، فلا توحى ملامس الاشياء باي احساس ذوقي أو شمي او بصري او سمعي او شعوري . ثم تأتي حاسة الذوق فى الطبقة الثانية . فتوحى مذاقات الاشياء ، بأحاسيس لمسية فقط ، ولا توحى بشىء من أحاسيس الحواس الاخرى او المشاعر الانسانية . ثم تأتي على التوالي حواس الشم ، فالنظر ، فالسمع . كل حاسة منها تدرك احاسيسها وتستوحى أحاسيس من دونها من الحواس ، دون أن تستطيع استيحاء أحاسيس من

نوتها . ولذلك فان حاسة السمع تستوحى مختلف الاحاسيس والمشاعر الانسانية . بمعنى ان الاصوات توحى أصلا بمختلف الاحاسيس والمشاعر الانسانية .

وهذه العلاقة بين الاصوات وبين الاحاسيس والمشاعر الانسانية قد اكتشف بعضها كثير من العلماء والادباء والشعراء والفلاسفة . منهم عالم الصوت (بلمار) الذي تبين له من كشوفه (ان ثمة تشابها بنيويا أساسيا بين أصوات اللغة التى تدركها الاذن ، وبين الالوان التى تراها العين) (4) .

ومنهم الشاعر الفرنسى رامبو الذي لحظ ان لأصوات بعض الحروف الفرنسية ايحاآت بألوان معينة ، ليوحى له صوت حرف (O) باللون الاسود .

ومنهم ابن جني الذي جاء بقاعدته الشهيرة (حذوا لمسموع الاصوات على محسوس الاحداث)، لتوضيح العلاقة الطبيعية بين الصورة الصوتية للفظة وبين صورتها المرئية فى الحدث الذي تعبر عن معناه .

ومنهم الارسوزي الذي قال بالعلاقة الثلاثية الاركان بين الصورة الصوتية للفظة العربية والصورة المرئية لها ، وصداها فى الوجدان (اي المشاعر الانسانية) .

الا ان أحدا لم يقل بأية علاقة بين الاصوات والاحاسيس الذوقية والشمية .

ولكن تبين لي أثناء هذه الدراسة ، ان الاصوات الانفعالية ، لا يمكن ان توحى بمشاعرها الانسانية بدقة ، الا اذا كان سامعها قد عانى سابقا هذه المشاعر بالذات .

وهذا ما قادنى الى القول بان الشعور الذي يعي ذاته بذاته ، هو الحاسة السادسة . فعقدت فصلاً خاصا للكشف عن دور الشعور ، سواء فى عملية ابداع أصوات الحروف عن طريق التقمص ، او فى عملية استيحاء معانى الاصوات عن طريق الاستبطان ، لأخلص أخيرا الى البرهان على ان الشعور يتمتع بخصائص الحواس ، وان تميز عنها فى بعض المواصفات . ونظرا لشفافية هذه الحاسة وتجردها المطلق عن المادة فقد صنفتها على امتداد الهرمين الحسيين فوق ذروة الاول وقاعدة الثانى .

الإفتراض الرابع :

اذا صح ان الانسان العربى قد عبر عن احاسيسه ومشاعره بأصوات حروفه ، وان الاصوات توحى فعلا بمختلف الاحاسيس والمشاعر الانسانية ، فالمفترض ان توحى أصوات الحروف العربية بهذه الاحاسيس والمشاعر .

(فمجرد القول بان الانسان العربى الفجر قد استخدم أصوات حروفه للتعبير عن احاسيسه ومشاعره ، لا يتضمن بالضرورة هذه الصلة الايحائية بين أصوات الحروف ومعانيها . اذ يمكن ان نصرف ذلك الى أن الانسان العربى قد فرض رمزية مصطنعة بين الحروف ومعانيها. وذلك على مثال تجربة العالم بانوف الشهيرة الذي استخدم فيها قرع الجرس لتنبيه الحاسة الذوقية فى كلبه . وليس بين صدى قرع الجرس وبين حاسة ذوق كلبه الا عادة تقديم الطعام له عند القرع ، ولا ايحاء ولا استيحاء) .

---

4) المرجع السابق ص 326

وللتحقق من صحة هذا الافتراض ، أخذت أتأمل مدى اصوات الحروف العربية فى نفسي حرفا بعد حرف ، للكشف عن خصائصها ومعانيها ، على مهل الشهور والاعوام . ولقد تبين لي أن هذه الحروف موزعة بالفعل بين الحواس والمشاعر الانسانية ، لكل حاسة مجموعة من الحروف ، ولكل انفعال شعوري أساسي ، حرف خاص .

فكان لحاسة اللمس ستة حروف هى : (ت. ث. د. ذ. ك. م) .

وكان لحاسة الذوق حرفان اثنان هما (ر. ل).

وكان لحاسة البصر أحد عشر حرفا هى (الهمزة ا . ب . ج . س . ش ، ط ، ظ ، غ ، و ، ي) .

وكان لحاسة الشعور سبعة أحرف هى : (ص ض. ن. خ. ح. هـ ع.) .

أما حاسة الشم فلم أجد لها حرفا خاصا بها ، وان كان لبعض أصوات الحروف ايحاآت شمية ، الى جانب ايحاآتها الحسية الخاصة . على أن حرف الطاء البصري ، هو ألصق الحروف بحاسة الشم ، مخرج صوت وايحاء معنى .

الافتراض الخامس :

اذا صح ما انتهيت اليه من تأملاتي الخاصة، من حيث تصنيف الحواس فى هرمين حسيين، ثم من حيث توزيع الحروف بين الحواس والمشاعر الانسانية، فالمفترض ان يكون لكل ذلك سنده من واقع اللغة العربية . ولا بد للانسان العربى أن يكون استثمر الخصائص الصوتية لحروفه فى ابداع ألفاظه للتعبير عن معانيها . وبتعبير أدق ، لا بد ان يكون لصوت الحرف العربى دوره الفعال فى تكوين معنى اللفظة العربية .

وللتحقق من صحة هذه الافتراضات لجأت الى المعاجم اللغوية للكشف عن مدى التوافق بين خصائص الحروف الصوتية وبين معانى الالفاظ التى تدخل فى تركيبها .

ولقد كان من أصول البحث العلمى ، ان أستخرج معاني جميع المصادر التى تبدأ بحرف معين ، ثم معاني جميع المصادر التى تنتهي به ، ومن ثم جميع معاني المصادر التى يقع هذا الحرف فى أواسطها . ثم أقارن بين هذه المعاني وبين الخصائص الصوتية لهذا الحرف . وذلك لأرى مقدار نسبة التوافق بين خصائصه الصوتية وبين معاني جميع المصادر التى شارك فى بنيانها . واخيرا ، لنقرر فيما اذا كان الانسان العربى قد استخدم الخصائص الصوتية لهذا الحرف فى معاني الفاظه ، أم أنه لم يفعل . وهكذا حرفا بعد حرف ، لنحكم فى النهاية ، فيما اذا كان للحروف العربية معان خاصة، أم انها مجرد رموز على معان ، وان اللفظة العربية بالتالى ، مجرد مصطلح على معنى ، كما يقول اصحاب المدرسة اللغوية الحديثة .

ولما كان هذا التقصي العلمي فوق طاقتي ، فقد رأيت بادىء ذي بدء ان أكتفي باستخراج معاني الالفاظ التى تبدأ بالحرف موضوع الدراسة ، بزعم ان الحرف الاول من اللفظة العربية ، هو الذي يطبع معناها بخصائصه الصوتية . وذلك استنباطا من النزعة الفردية فى الانسان العربى المتهم بانه مولع بمكان الصدارة من كل أمر ، لا يبعد معها ان تمتد الزعامة فى الكلمة للحرف الاول . فماذا كانت النتيجة؟

لقد صدقت وجهة نظري هذه بالنسبة للحروف القوية بصورة غير متوقعة . فكانت خصائص الحروف ذوات الشخصيات المتميزة تتطابق مع معانـــى الالفاظ التى تبدأ بها ، بنسب تتراوح بين (40—66) بالمئة ، كحروف (د ، ر ، ل ، ب ، ج ، ف ، ز ، ق ، خ ، ص ، ه ، ع) . كما أن معانى الالفاظ التى بدأت بمعظم هذه الحروف قد التزمت بطبقاتها الهرمية ، لـــم تتجاوزها الى الطبقات العليا ، الا نادرًا ، وبفعـــل حرف قوي الشخصية ينتمى الى تلك الطبقات ، وتلك معجزة خارقة لا مثيل لها فى اي لغة من لغات العالم .

فمعانـــي جميع الالفاظ التى تبدأ بحرف الدال اللمسى مثلا ، لم تتجاوز طبقته اللمسية الى الطبقات العليا الا فى ثلاثة ألفاظ (الدسم) للطبقة الذوقية ، و (دندن) و « دوى » للطبقة السمعية .

أما الحروف الشاعرية الرقيقة ، كحـــروف : « م، س ن، » ، فكانت أقدر على فرض خصائصهـــا الصوتية على معانـــى الالفاظ ، عندما تقع فى نهاياتها، وليس فى أوائلها ، وتلك رهافة سمـــع فى الانســـان العربى ملفتة للانظار .

(وذلك ، على مثال ما كانت المراة فى المجتمع الرعوي أوحى بخصائصها الانثوية ، رقة وحشمة واحاطة وحنانا ، عندما تستتر فى مضربها فى مؤخرة الصفوف، أنسجاما مع ميلها الفطري الاصيل الـــي دواعي الطمأنينة والاستقرار . على العكس من الرجل الراعي فى صحرائه ، الذي كان بجهارة صوتـــه ، وخشونة منظره وصلابة قسماته ، أوحى بالقـــوة والرجولة وادمـــى البطولة ، عندما يكون فى مقدمة الصفوف).

أما الحروف الضعيفة الشخصية ، فلم تفلـــح فى فرض خصائصها الصوتية على معانى الالفاظ التى تتصدرها او تتوسطها أو تنتهى بها ، كما لم تستطـــع أن تحتفظ بطبقاتها الهرمية . فهي حروف أمعية ، لتلوين معانـــى الالفاظ التى تدخل فى تراكيبها ، كحروف : (ا ، و ، ي ، ط ، ح) . شأن هذه الحروف ، شأن الامعيات فى المجتمعات الانسانية .

وهكذا بالتزام معاني الالفاظ التى تبدأ بالحروف القوية الشخصية طبقاتها الحسية ، لا تتجاوزها الى الطبقات العليا ، الا نادرا ، وان شملت الطبقـــات الحسية الادنـــى ، فان ذلك يـــؤكـــد صحة تصنيف الحواس فى الهرم الحسي المنكوس ، وان الاصوات بخاصة توحى بأحاسيس جميع الحواس .

الافتراض السادس :

(كل أثر فنـــي أصيل يحمل بالتأكيد نفحة من روح مبدعه ، لينطبع بطابعه الشخصي المميز ، عمارة كان الأثر ، أو نحتا ، او رسما ، أو شعرا ، أو موسيقـــى او أدبا — مما يستطيع معه ذواقة الفنون الأصلاء ، أن ينسبوا الآثار الفنية المجهولة الانساب الى اصحابها) .

فاذا صح ان الانسان العربى قد أبدع حروفـــه عفو فطرته السوية ، ليعبر بها عـــن أحاســـيـــه ومشاعره فى ألفاظ طوال آلاف الاعوام ، فالمفترض ان يحمل الحرف العربـــى طابع الشخصية العربية.

وللتحقق من صحة هذا الافتراض عقدت فصلا خاصا فى القسم الثانـــى من هذه الدراسة بعنوان : « بين فردية الانسان العربى وفردية الحرف العربى »

وفى الحقيقة ، لما كان الانسان العربى قد بدأ حياة الرعي والتشرد فى الجزيرة العربية منذ الألف العاشر قبل الميلاد ، ولا جدران عالية تعصمه مـــن

عاديات الوحوش والناس ، ولا ستوف مرفوعة تقيه من تقلبات الطقس والطبيعة ، فقد استجاب لكل هذه التحديات بحصون منيعة من القوة والشجاعة ، وباردية واقية ، من التقشف والصبر والجلد .

ولما كان المجتمع العربي الرعوي لم ينعم بسلطة مركزية مسيطرة تحميه من أعدائه والطامعين بقطعانه فقد لجأ الى روابط قبلية تنجده عند الحاجة وتثار له عند الاقتضاء .

ولما لم تتوفر له مؤسسات اجتماعية تكفله في عوزه ومرضه وضعفه وطوارئه ، فقد أحدث مؤسسات انسانية من تقاليد الكرم والضيافة ومفاهيم الشهامة والمروءة والنجدة والشرف ، يلجأ اليها عند الضرورة.

وهكذا قامت فردية الانسان العربي أول ما قامت ، على أصالة الصلة بين طاقاته الروحية وطاقاته الجسدية ، بعضها يأخذ بعناق بعض . فكلما صبت نفسه في مواقفه الى قيم انسانية عليا ، استجاب جسده لتحديات الحياة قوة وتجلدا . والعكس بالعكس صحيح . لتقوم فردية الانسان العربي أصلا ، على الرابطة الاصلية بين القيم الاخلاقية والقيم الاجتماعية .

وبالمقابل ، فان الحروف العربية قد نشأت منذ فجرها الاول في بيئة بكر ، لا لغة فيها ، ولا فنّ ولا أدب ، ولا دين ، ولا فلسفة ، فألقى الانسان العربي على عاتقها كل هذه الاعباء الثقافية للتعبير عن احاسيسه ومشاعره وافكاره وحاجاته . وقد استجابت الحروف العربية عبر العصور لهذا التحدي الثقافي الكبير . لتحمل الحروف العربية في طيات أصواتها تراث الانسان العربي الثقافي ، ان لم يكن تراث الانسانية .

وهكذا قامت فردية الحرف العربي على أصالة الصلة بين خصائصه الصوتية المميزة وبين معانيه ، على مثال ما قامت الفردية العربية على اصالة الصلة بين طاقاته الجسدية وطاقاته الروحية .

وانسجاما مع نهج الانسان العربي الفني الاخلاقي في مراتبه الاجتماعية وتقاليده، ومؤسساته، قد خص الحروف العربية التي في أصواتها تناسق وانسجام وفعالية بمختلف معاني الشهامة والمروءة والسموّ ومشاعر النخوة والحنين والخشوع وما اليها من القيم الانسانية . اما الحروف التي في أصواتها نجاجة واضطراب ورخاوة ونشاز ، فقد خصها بمعاني الفظاظة والقباحة والخسة والسفاذة والعتامة والاضطرابات النفسية والتشوهات الجسدية ، وما اليها من النقائص الانسانية ، في روابط صحيحة صريحة متبادلة بين القيم الجمالية والقيم الاخلاقية ، ظاهرة لغوية متفردة في دنيا الحروف لا مثيل لها في لغات العالم ايضا .

ليصدق بذلك الحدس الذي تأسست عليه أصلا هذه الدراسة ومآله :

« لا فن بلا أخلاق ، ولا أخلاق بلا فن »

الافتراض السابع :

اذا صح أن الانسان العربي قد صبّ في الحرف العربي عصارة روحه ، وخلاصة مقوماته الشخصية ، على وجه ما سبق ، فالمفترض أن يكون ثمة علاقة نفسية بين الحرف العربي والانسان العربي .

وللتحقق من صحة هذا الافتراض ، عقدت فصلا خاصا في القسم الثاني من هذه الدراسة بعنوان :

« الجوانب النفسية في الحرف العربي » .

وفى الحقيقة ، لما كان لصوت كل حرف عربى خصائصه الصوتية الذاتية التى توحي بمعانيه ، فانه لا بد للانسان العربى بصورة مبدئية ان تتأثر نفسه بخصائص هذه الحروف عند التلفظ بها . فاذا كان فى صوت الحرف اهتزاز واضطراب كالهاء مثلا ، انعكس هذا الاهتزاز والاضطراب على نفس قائله وسامعه على حد سواء . ويكون ذلك أوضح ظهوراً ، اذا رافق مثل هذا الحرف حروف مناسبة ، وركبوا فى صيغة ملائمة ، ولا بد لقائل هذا الحرف ان تعانى جملته العصبية ، ذات الاهتزاز ، والاضطراب ، استعدادا للتلفظ به ، على مثال ما أصاب مبدعه الاول ، ولو بانفعال مخفف ، آه ، أوّاه .

وهكذا الامر مع بقية الحروف ، واذن :

لما كانت خصائص الحروف العربية هى وليدة مخارجها الصوتية على مدرج النطق ، وكان لكل انسان مخرج صوت معين على مدرج النطق ايضا، فان الانسان الذي ينطبق مخرجه الصوتى على مخرج أي حرف من الحروف العربية ، لا بد ان تتأثر شخصيته بخصائص ذلك الحرف بالذات .

فالفرد الذي يكون مخرج صوته العفوي المعتاد هائيا مثلا ، لا بد أن تكون شخصيته منطبعة مسبقا بخصائص صوت هذا الحرف ، اضطرابا نفسيا وياسا وحزنا دفينا ، وان يوحى صوته بالتالى بهذه المشاعر بالذات ، وهكذا الامر مع من كان مخرج صوته عينيا ، او حائيا ، او جيميا ، او نونيا .. وما الى ذلك من المخارج الصوتية للحروف والنماذج الانسانية للافراد. وهذه القاعدة الصوتية اللغوية ، هى أصدق ما تكون بين المغنيين والمرتلين .

ولقد عقدت فى القسم الثانى من هذه الدراسة فصلا خاصا بعنوان « الحروف العربية والاصوات الغنائية » ، كشفت فيه عن مخارج اصوات بعض المغنين والمرتلين ، منهم ذو المخرج الصوتى العيني ، (وديع الصافى ، عبد الوهاب فى شبابه ، فيروز ، أم كلثوم) ، والهائي (فريد الاطرش ، خضيري أبو عزيز) ، والحائي (نجاح سلام) ، واليائي (فايزة أحمد) ، والنونى (عبد الباسط عبد الصمد ، أحمد السكري) .

ولكن هل تقتصر هذه القاعدة الصوتية اللغوية على الانسان العربى فحسب ، ام انها تتجاوزه الى الناس كافة ؟

بحكم أصالة الصلة بين الخصائص الصوتية للحروف العربية المقتبسة عن الطبيعة وبين معانيها، فان الحرف العربى، فى هذا المضمار الصوتى اللغوي، يتجاوز نطاقه القومى الى الانسانى . ولقد ضربت على ذلك بعض الامثلة عن مختلف الشعوب .

ومن ينكر علينا هذه العلاقة بين شخصية الانسان وبين مخرجه الصوتى على مستوى الافراد والشعوب ، فانى احيله الى المنحنيات الصوتية الثلاثة التى اكتشفها العالم (ادوارد سيفرز) وتلميذه الموسيقى « غوستاف بكينج ».

فكل فرد ، على رايهما ، يحمل كلامه خصائص لا تتعطل ، ولا يمكن التخلى عنها . وهذه الخصائص ترجع فى أصلها الى القسم الادنى من الجهاز الصوتى الواقع بين منطقة البطن ، وبين الصدر والتجويف البطنى . وبتحليلهما للأصوات البشرية، تبين لهما ان ثمة ثلاثة نماذج أساسية من المنحنيات، ولكل منها تفرعاته . وكل متكلم ينتمى أصلا لواحد من

هذه المنحنيات التى تتحكم بحركاته الجسدية واليدوية والوجهية ، وكذلك بالكتابة والرسم والرقص والرياضة والجنس ، وكافة النشاطات وأنماط السلوك . وان القبائل ، وحتى الشعوب برمتها ، لا تستخدم، بشكل شبه حصري، الا واحدا من منحنيات (بكينج) (5) .

أسوق هذا الخبر (العلم نفسى ـ الصوتى) ، للتدليل على ان ثمة علاقة أصيلة بين شخصية الانسان ، وبين طابعه الصوتى ، ولا يهم كثيرا بعد ذلك ، ان يكون ، ، او لا يكون ثمة علاقة ما بين المخارج الصوتية للافراد والشعوب ، وبين منحنيات (بكينج) وان كنت لا أستبعدها .

وهكذا قد خصصت القسم الثانى من هذه الدراسة ، وعنوانه (الحروف العربية والشخصية العربية) ، لاستثمار خصائص الحروف العربية فى الكشف عن الجوانب النفسية والاجتماعية والفنية والاخلاقية فى الانسان العربى ، وعن مدى تجاوب الحرف العربى مع مقومات الشخصية العربية ، على حد سواء .

وهكذا بدات دراستي عن الحروف العربية ، من حيث انتهى أصحاب المدرسة اللغوية القديمة ، وانتهيت بها عند أبواب المدارس اللغوية الحديثة ، لم أتجاوز عتباتها الا قليلا ، ولكن صحابة مقولة فطرية اللغة العربية ، فى زيها العصري المبتكر .

وانى لأرجو ان تثير هذه الدراسة اهتمام اللغويين من اصحاب المدرستين ، ليؤاخوا فى ذلك بين التراث القديم والاسلوب العلمي المعاصر ، للكشف عن خصائص الحرف العربى ، وعن مقومات الانسان العربى .

فلقد عنانى من هذه الدراسة ، أكثر ما عنانى جانباها الثقافى والقومى ، فتوخيت منها أول ما توخيت أمرين اثنين :

أ ـ ان القى بعبء تعريف مفاهيمنا، وتحديد مضمونها الثقافى ، على عاتق قبضة من الحروف ، لا يصعب استيعاب خصائصها . فاذا ما توصل الانسان العربى الى الكشف عن جميع خصائص الحروف العربية ومعانيها ، فى محاولات لغوية مماثلة ، استطاع ان يحرر لغته وفلسفته وادبه ومفاهيمه من مختلف الشوائب . وبتحرير التراث العربى الاصيل من دخيله ومدسوسه ، يستطيع الانسان العربى ان يستانف مسيرته الثقافية بروح عصرية جديدة ، دون ان يتنكر لمضمونه الذاتى ومقوماته القومية .

ب ـ ان استنبط من الحروف العربية نهج الانسان العربى فى الحياة ، بقواعده التى أسس عليها ذاته ، وأقام تقاليده ، وبنى مؤسساته . فاربط بين هذه القواعد وبين خصائص الحروف العربية ومعانيها ، كحقائق راهنة لا مجال لانكارها ، فيتمسك باللب الاصيل ، ويتخلى عن القشر المرحلى العارض.

وهكذا فالحروف العربية ، انما هى جذور الانسان العربى فى الطبيعة والتاريخ معا . انها الجاذبية اللامرئية التى تربطه بصميم امته وتجمع بينه وبين اخوانه على سطوح مجتمعاتها .

ولهذا السبب بالذات ، قد استهدفت الحروف العربية منذ مطلع هذا القرن ، ولا تزال تستهدف

---

5) المرجع السابق ص 314 ـ 316 .

لحملات مشبوهة من تهم التصور والعتم وافتراآت الرجعية والتخلف ، ليصار الى تبديلها بحروف لاتينية تارة ، وللاستعاضة عن الفصحى باللهجات العامية المحلية تارات أخر .

وعندما نتخلى عن حروفنا ، أو فصحانا ، لابد ان نتقطع بذلك جذورنا الثقافية والقومية معا ، وان نفقد بالتالى ارتباطنا ببيئتنا وأمتنا ، لنغترب فى عقر دارنا غربة قاطعة ، لا لقاء معها ابد الدهر .

وعندئذ ، تزداد فرص بقاء ونماء جميع الكيانات السرطانية فى جسم الوطن العربى المعلاق، بما يمكن اثارته وزرعه فى روابطه وبين أجزائه من مختلف عوامل التفسخ ، ومن شتى ضروب التناقض والنزاع .

ثانياً: دراسات تعريبية ومعجمية

		الصفحة
1 ــ وحدة المصطلح المالكى فى القانون والاقتصاد	عبد العزيز بنعبد الله	137
2 ــ المصطلح الكيميائى فى التراث العربى	د. جابر الشكرى	151
3 ــ الالفاظ العربية بين المعنى اللفظى والدلالة الفكريــة والاجتماعيــة	د. ابتسام مرهون الصفار	163
4 ــ عملية التعريب : الاساليب والمشاكل والحلول	د. محمود محمد الحبيب	177
5 ــ البندنيجى ومعجمه « الثقفية فى اللغة »	د. خليل ابراهيم العطية	194
6 ــ تعريب رموز وحدات النظــام الدولى	مجمع اللغة العربية الاردنى	203
7 ــ اللغة العربية ومصطلحات الحضارة الراهنة	سليم طه التكريتى	209
8 ــ تعليق على لفظة حضارية (الاسطرلاب)	احســان محمد جعفر	212

وحدة المصطلح المالكي في القانون والاقتصاد بين شقي الفروبة

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

اذا تتبعنا المسار الذي نهجه المذهب المالكي بين المغرب الاقصى والخليج العربي ، مارا بالتشاد والسودان وبحر القلزم واليمن الى البصرة ، لاحظنا مظاهر مختلفة للوحدة الفكرية في مجال القانون والاقتصاد من خلال وحدة المصطلح في الفقه المالكي . وقد ألقينا منذ سنوات محاضرة في (أبو ظبي) ، بدعوة من (الديوان الاميري) ، حاولنا أن نبرز فيها الاسباب والظروف التي حدت الى ترصيص الوحدة بين الخليج والمحيط (1*) . وقد سبق لنا أن نشرنا معجما للفقه المالكي (عربي — فرنسي) ابرزنا فيه خصائص المصطلح الفقهي في شتى المجالات (2*) . ونعطي الآن نماذج لما اختص به هذا المذهب من اختيارات في قضايا مختلفة كالنوازل والوثائق والفتاوى ، ونستهدف بذلك استخلاص مصطلحات أصيلة ، ظلت أزيد من الف عام قوام الوحدة اللغوية بين الشرق والغرب ، عملنا على ادراجها في معجمنا الحديث حول الفقه والقانون (3*) .

وقد عززنا هذا البحث بمصادر مختلفة ، يمكن أن يرجع اليها الباحثون في اللسانيات والفقهيات معا ، اشرنا الى المطبوع منها وكذلك المخطوط مع بيان المكتبات العالمية التي تتوفر فيها دون اغفال الارقام والمصادر .

1*) راجع العدد 15 ، ج 1 ، ص (211)

2*) راجع العدد 16 ، ج 2 ، ص (399)

3*) الذي اصدرنا منه لحد الآن الجزء الاول (في اربعة حروف من (A) الى (D) ويتلوه قريبا الجزء الثاني الى حرف (G)

القضـــــاء :

منصب ديني من متعلقاته الشورى وكان في كل عاصمة ولاية قاض لنجماعة في عهد الموحدين وهـــو يتولى اختيار نوابه في مناصب القضاء المحلية وكان الخليفة الموحدي يعين قضاة الجماعة دون تدخـــل الولاة في كل من المغرب والاندلس وكان قضـــاة الاندلس اندلسيين في الغالب (1) .

وكان القضاء يتعطل مع العدل وانصاف الناس فقد مكث عمر بن الخطاب على القضاء طوال عهد أبي بكر الصديق ومكث سنة لا يأتيه رجلان (2) ولكن عادة الموحدين عندما كان ملكهم مبسوطا على تونس انهم لا يولون القضاة اكثر من عامين عملا بوصية عمر بن الخطاب نفسه (3) . وذكر الأبي في شرح مسلم انه حين كانت قاعدة مملكة الموحدين مراكش كان القضاة انما يأتون لتونس منها (4) في حين كان قضاة المغرب يختارون من سوس أيام السعديين (5) . وخطة القضاء هي اعظم الخطط بالاندلس لتعلقها بامور الديـــن وكون السلطان نفسه لو توجه عليه حكم حضر بـــين يدي القاضي وذلك في المدن الكبيرة ، أما في الصغرى فالحاكم الشرعي فيها هو المسدد، وقاضي القضاة كان يسمى ايضا قاضي الجماعة (6) .

وكان عدد القضاة نحوًا من خمسة عشر فـــي مجموع المغرب وكان في كل من فاس ومراكش ثلاثة قضاة ولم يكن في القبائل سوى نواب عن القضـــاة اما في الجبال فان العرف هو السائد عدا تحكيم الشرع احيانا ولم يكن اختصاصهم يتجاوز الاحوال الشخصية والالتزامات الناجمة عن الجنايات الدموية مع رعاية أموال اليتامى ومراقبة العدول ورجال التوثيق والعلماء والاشراف ورجال الدين ووكلاء الغياب والمشرفين على المواريث (بومواريث) ونظار الاحبـــاس والمساجد . وكان قاضي السماط بفاس يشرف على جامعة القرويين وهيئة العلماء فكان للقاضي بذلك دور سياسي هام لذلك كان تعيين القضاة يحاط بعناية خاصة . ولم يكن حكم القاضي خاضعا لمراجعة محكمة استئنافية عدا رفع التظلم الى السلطان بواسطة وزير الشكايات لجمع العلماء والنظر في قيمة التظلم فقط دون اصدار حكم جديد . وكان القاضي يتسم في غالب الاحيان بالنزاهة والعدل يحرزه ايمانه كما يكبحـــه الراي العـــام .

وقضاء الجماعة بالمغرب يوازي منصب قاضي القضاة بالمشرق (7) ولم يطلق المغرب وصـــف القضاة على غير الحكام الشرعيين في حين اطلـــق احيانا خارج المغرب على الكتاب (8) وعلى التجار(9). ومنذ عصر المرابطين كانت زعامة القضاء راجعـــة لقاضي الحضرة (اي مراكش) الذي كان عضوا في مجلس الشورى والذي اصبحت له سلطة كبرى على قضاة المغرب والاندلس ، وكانت هذه المشيخة تعطى احيانا لقاضي سبتة وطنجة او قرطبة من ذلك تولية هذا المنصب قاضي طنجة مروان بن عبد الملك بـــن ابراهيم بن سحنون اللواتي (10) .

وكـــان للقضاة مستشارون في العهد المرابطي ، فكان ابن تاشفين اذا ولّى احدا من قضاته يعهد اليه ان لا يقطع امرا ولا يبتّ في امر الا بمحضر اربعة مـــن الفقهاء فبلغ الفقهاء في عهده مبلغا عظيما لم يبلغوا مثله في الصدر الاول من فتح الاندلس .

واصدر المولى محمد بن عبد الله ظهيرا امر فيه القضاة بكتابة الاحكام في كل قضية في رسمين ، ياخذ المحكوم له رسما يبقى بيده حجة على خصمـــه والمحكوم عليه رسما ، ومن حكم ولم يكتب حكمه ولم يشهد عليه العدول فهو معزول (11) . وكان المخزن يرسل الى كل قبيلة من يقوم باختبار قضاة البادية قبل تعيينهم ، حتى لا يتولى سياسة الرعية غير الاكفاء، وتسجل نتائج الامتحان في تقارير وبيانات ترفع الـــى

---

1) البيان المغرب ق 3 ص 129 و 231
2) ابن الاثير ج 2 ص 161
3) (تاريخ الدولتين ص 44)
4) الاعلام للمراكشي (طبعة 1974) ج 1 ص 68
5) تاريخ الدولة السعدية ص 25
6) (نفح الطيب ج 1 ص 103)
7) (نفح الطيب ج 1 ص 338)
8) (صبح الاعشى ج 5 ص 451)
9) (البرد الموشى ص 7)
10) (مشيخة عياض)
11) (الاعلام للمراكشي ج 5 ص 123)

السلطان ليصدر امره بالتعيين ، من ذلك ظهير صدر عام 1294هـ/ 1877 م اعتمد على تقييد لاختبار عمال دكالة وقضاتهم واشياخهم (12) .

وقد لاحظ المولى اسماعيل جهل الكثير من رجال القضاء فأمر بحبس بعضهم ، ممن امتحنوا فتأكد جهلهم ، وسجنهم فى مشور فاس الجديد حتى تعلموا ضروريات الاحكام وعزل الكثير منهم ، وقد اشار القادري فى (الازهار الندية) الى هذا الحادث الذي حصره العلامة اكنسوس فى قضاة البوادي (13) .

وكان ثلاثة قضاة يتناوبون على الرباط ، لكل واحد ثلاثة اشهر ، وهم الفقهاء محمد بن أحمد الغربى وعبد الله بناني ومحمد بن اليسع (14) ، وعندما ترجم ابن القاضى فى درة الحجال (15) لأحمد بن محمد الطرون الفاسى ذكر انه كان قاضيا بفاس وانه لم يكن من اهل العلم وانما ولي لانهم كانوا يولون القضاء من يكون عليا وان لم يكن ذا علم ليكنف بما له عن اموال الناس وعن الرشا وقد توفي هذا القاضى المتمول سنة 961 هـ / 1553 م . وكانت مجالات القضاء واصنافه مختلفة منها قضاء العساكر حيث كان ابراهيم بن يحيى قاضى العساكر فى عهد ابى الحسن المرينى ، كما كان محمد بن ابى عامر قاضى القضاة فى المغرب وناظر العسكر (16) . وقد عمل قضاة مغاربة على التوالى بالمغرب والاندلس من بينهم علي بن عبد الله بن محمد الفاسى الذي ظل قاضيا بشاطبة الى 622 هـ / 1225 م ثم انتقل الى مراكش وحضر مجلس ابن القطان ثم استقضي بشريش وجيان وقرطبة وسبتة وفاس ثم اغمات وريكة ثم تولى قضاء النساء بمراكش وحفظ عن ظهر قلب صحيح البخاري (17) . وقد استقضي الفقيه عمر بن عبد الله بن محمد الاغماتى المحدث النحوي بفاس وهو ابن عشرين سنة ، وكذلك الفقيه عمر بن محمد بن حم كردس الدمناتى الذي استقضي بقصبة مراكش وهو ابن عشرين سنة ايضا ،ومحمد السعيدبن محمد بن عمر بن العياش قاضى الجماعة بمراكش استقضاه المولى سليمان بسجلماسة وهو ابن خمس وعشرين سنة (18) .

اما الاستيناف فقد كان فى عهد الحماية نوعين : ابتدائى لاحكام قضاة البوادي وما فى حكمها من احكام قضاة صغار المدن ويكون عند قاضى المدينة بمنطقته المعينة فى ظهير تنظيم « العدلية » خاصة فى مكناس والرباط والدار البيضاء او عند احد قضاتها إن تعدد كما فى قضاة فاس ومراكش .

والنوع الثانى وهو النهائى تاسيس مجلس شرعى أعلى بالبلاط الملكي يتركب من رئيس واربعة اعضاء من العلماء وثلاثة نواب وستة كتاب وثلاثة خدمة .وهو يتلقى استيناف احكام قضاة قواعد المدن .

وكان القضاء يحظى بثقة الشعب لحسن الاحدوثة فقد تحدث (جان موكى) فى رحلته الى المغرب (1601 — 1607) عن قضاة المغرب فوصف سرعة وعدالة المسطرة القضائية عندهم (19) .

كما ذكر (لودفيك) Ludovic de campou (20 ان كل مخذة من القبائل المغربية كانت تشتمل على مكان يستخدم كمسجد ومكان آخر لتحفيظ القرآن وقاض يصدر الاحكام .

ومن المصنفات التى صدرت فى الموضوع :

— (تبصرة الحكام فى اصول الأقضية ومناهج الاحكام) لابن فرحون ابراهيم بن علي اليعمري (مكتبة تطوان (1405) : ثلاث نسخ) .

— (جمهرة من حكم بفاس وقضى فى الدولة العلوية وجرى به القضا) (رجز فى 300 بيت). لابى القاسم الزياتى . نسخة بالخزانة الفاسية والمكتبة الاحمدية السودية بفاس وخم 2348 .

---

12) (العز والصولة لابن زيدان ج 2 ص 8)
13) (الاستقصا ج 4 ص 31) .
14) (اتحاف اعلام الناس ج 3 بعد ص 305)
15) ج 1 ص 89
16) (ابن عذارى ج 2 ص 376)
17) الاعلام للمراكشى ج 6 ص 2 (خ)
18) (الاعلام للمراكشى ج 7 ص 5 — ط الرباط)
19) الوثائق الغميسة فى تاريخ المغرب — دوكاستر — سوا — السعديون ج 2 ص 400)
20) فى كتابه « المغرب المعاصر امبراطورية تنهار » ص 114 .

— (تكميل قضاة فاس على ما فى جذوة الاقتباس) (الخزانة الملكية = خم 4792) .

— « جواب فى الفرق بين خطة القضاء وخطة الولاية وخطة الحسبة باعتبار عرف زماننا » لأحمد بن خالد الناصري (الخزانة العامة بالرباط (خع) 2295 د (م = 6 — 8)).

— (آفاق الشموس واعلاق النفوس فى الاقضية النبوية) لأحمد بن عبد الصمد الخزرجي الفاسي .

— (الأحكام من آي خير الأنام) للحسن بن علي بن القطان . جمعه بأمر السلطان عمر المرتضي للموحدي .
خزانةالقرويين (خق) ل 292/40 .

— (منظومة فى ادب القضاة وبيان صنعة القضاء) (272 بيتا) اسمها (حديقة القضاة) (خع 1862 د) (م = 1 — 6) للعربي بن عبد الله المستاري رئيس البحر فى عهد سيدي محمد بن عبد الله .

— قضاء ركب الحجيج .
تلد يوسف المريني الفقيه محمد بن زغبوش قضاء ركب الحجيج عام 703 هـ / 1303 م (21) .

— (المهذب الرائق فى تدبير الناشىء من القضاة واهل الوثائق). المتحف البريطاني (عدد 242) . تلادة التسجيلات والعقود وتصرف القاضي والشهود كلاهما لموسى بن عيسى المغيلي (791 هـ / 1389 م) .

— اصلاح القضاء بالمغرب ايام السلطان سيدي محمد بن عبد الله « حصول المسرة والأنس فى بيان مدارك الفصول الخمس » . خع 330 د (م = 103 — 124).دراسات مغربية : عن تاريخ القضاء بالمغرب (عبد الله الجراري). مجلة دعوة الحق — عدد 1 (1965) .

تاريخ القضاء بشمال المغرب على عهد الحماية (الحسن بن عبد الوهاب) . مجلة البحث العلمي — عدد 9 (1966)

القضاة والعدول بالمغرب (تاريخ تطوان ج 1 ص 137) .

J. Caillé - Organisation judiciaire et procédure marocaines - Libr. gén. de droit et de juris. 1948 (459 p.)

— القضاء فى جنوب المغرب R. Montagne, 1924.

الافتـــاء :

ظهرت خطة المفتي بالمغرب فى عهد محمد الشيخ السعدي اقتباسا من الاتراك وقد تقلد منصب الفتوى بفاس فى عهد محمد الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن جلال المغراوي التلمساني نزيل فاس كما تقلدها بمراكش ايام عبد الله الغالب محمد شقرون بن هبة الله الوجديجي التلمساني (الدوحة ص 90 و 86) وكانيعتبر من اسمى الوظائف لا يرخص فيه الا لذوي المروءة والدين ومن « طرأ عليه او ظهر منه ما يخالف ذلك يعزل ويضرب على يده وربما عوقب ونكل به » .

(راجع نصوص ظهائر فى الموضوع فى (العز والصولة) لابن زيدان ج 2 ص 55 حيث امر المولى عبد الرحمن مثلا برفع يد المفتين عن الفتوى بطنجة نظرا لفساد الاحكام والتلبيس على العوام وذلك فى 25 رمضان 1274 هـ) .

وكان (مجلس المفتين) بالمغرب يعمل تارة كمحكمة عليا للنقض والابرام واخرى كهيئة استينافية، وهذا المجلس يجمعه السلطان عند الحاجة للنظر فى قضية فقهية قبل احالتها على محكمة جديدة . وكان السلطان يصدر الاحكام مرة فى الشهر ويتلقى طلبات الاستيناف ويتقاضى امامه الاجانب اكثر من رعاياه واول قاض بعد السلطان هو المفتي الذي يتلقى طلبات الاستيناف وكان هنالك ثلاثة مفتين بمراكش

21» « تاريخ ابن خلدون ج 7 ص 226) .

وفاس وتارودانت (1) . وقد شملت عناية ملوكنا العلويين الأماجد رجالات الافتاء في كافة أنحاء العالم الاسلامي وخاصة في الحرمين الشريفين ، فقد حبّس السلطان سيدي محمد بن عبد الله أموالاً طائلة على مفتي المذاهب الاربعة وطلبتهم بالمدينة المنورة كما حبّس مالاً عظيما على قرّاء الفتوحات الالهية والجامع الصحيح من اهل المذاهب الاربعة بالمدينة المنورة (2) . وقد كان لكل حاضرة أو اقليم رجل افتاء . فالسعديون لم يتأثروا بالنظام التركي عندما نصبوا مفتيا على فاس هو العلامة محمد بن عبد الرحمن بن جلال المغراوي التلمساني (3) . وكان المفتي يتلقى الاسئلة والاستفسارات والاستيضاحات في القضايا الفقهية من مجموع البلاد ، مثال ذلك الفقيه محمد بن ابراهيم السباعي الحاجي رئيس قلم الفتوى بمراكش الذي كانت ترد عليه الاسئلة من كافة أنحاء المغرب فيجيب عنها بما يبهر العقول بدون تسويد لكثرة تحصيله واستحضاره ولا يبقى عنده منها نسخة ، ولو جمعت فتاويه لأربت على (نوازل المعيار) ، كان يقول (نحن رجال وهم رجال (4)) . ولمحمد الاغلالي (القواعد التي يجب على المفتي العمل بمقتضاها) (307 من الابيات) خع 1242 د.

وكذلك (ارجوزة فيما تجب به الفتوى وما يعتمد من الكتب) لمحمد النابغة الشنجيطي ، المطبعة الملكية بفاس (1282 هـ / 1865 م) .

وممن تصدر للافتاء بالمغرب العلماء :-ابراهيم ابن عبد الملك الضرير السوسي ، كان خرازا (1316هـ / 1898 م) .

— مفتي سجلماسة ابراهيم بن هلال بن علي الصنهاجي المشترائي (903 هـ / 1497 م) .

— ابراهيم المرغيني الخلوفي .

— المفتي ابو بكر بن مسعود المراكشي شيخ المالكية بدمشق (1032 هـ / 1622 م) .

— ابن علي ابو القاسم الحساني الهبطي المفتي (956 هـ / 1549 م) (الجذوة ص 319) .

— المفتي احمد بن الحاج العباس الشرايبي (1329 هـ /1911 م) .

— احمد بن ابي مالك عبد الواحد بن احمد السجلماسي مفتي مراكش (الاعلام للمراكشي ج 2 ص 44) .

— أحمد بن علي السالمي مفتي مراكش (احمد بن محمد بن علي حسب الحضيكي) .

— المفتي احمد بن قاسم بن عبد الرحمن القباب قاضي جبل طارق ومشاور الدولة (779 هـ / 1377 م) — له فتاو مدونة في (معيار الونشريسي) .

— أحمد بن القاضي التلمساني شاعر الرباط ومفتيه (توفي حوالى 1180 هـ / 1766 م) ، (الاغتباط ج 1 ص 20) .

— مفتي فاس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى المقري نزيل فاس والقاهرة (1041 هـ / 1632 م) وهو صاحب (نفح الطيب) له فتاو نقلها صاحب (المعيار) .

— المفتي أحمد بن يحيى الونشريسي الفاسي (914 هـ / 1508 م) له (المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية والاندلس والمغرب) طبع على الحجر بفاس عام 1315 . خع 400 د (5 مجلدات) .

— المفتي الحسن بن أحمد بن عبد الرحمن المزميري .

---

1) في رحلة R.O.C. (س. ا. — السعديون — 1925 ج 2ص397) بالنسبة لعام 1609 .
2) (الاتحاف ج 3 ص 233)
3) (الدوحة ص 90)
4) الاعلام للمراكشي ج 7 ص 193 . الرباط .